

تفسير ابن كثير

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

قال السدي في تفسيره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الطيب

الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : (

وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) أما لا تفسدوا في الأرض ،

قال : الفساد هو الكفر ، والعمل بالمعصية . وقال أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي

العالية ، في قوله تعالى : (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) قال : يعني : لا تعصوا

في الأرض ، وكان فسادهم ذلك معصية الله ؛ لأنه من عصى الله في الأرض أو أمر

بمعصية الله فقد أفسد في الأرض ؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة . وهكذا قال

الربيع بن أنس ، وقتادة . وقال ابن جريج ، عن مجاهد : (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في

الأرض) قال : إذا ركبوا معصية الله ، فليل لهم : لا تفعلوا كذا وكذا ، قالوا : إنما نحن

على الهدى ، مصلحون . وقد قال وكيع ، وعيسى بن يونس ، وعثام بن علي ، عن الأعمش

، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله الأسيدي ، عن سلمان الفارسي : (وإذا

قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (قال سلمان : لم يجئ أهل هذه الآية بعد . وقال ابن جرير : حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم ، حدثنا عبد الرحمن بن شريك ، حدثني أبي ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب وغيره ، عن سلمان ، في هذه الآية ، قال : ما جاء هؤلاء بعد . قال ابن جرير : يحتمل أن سلمان أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فسادا من الذين كانوا في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ، لا أنه عنى أنه لم يمض ممن تلك صفته أحد . قال ابن جرير : فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم ، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضه ، وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عمل إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته ، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله ، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا . فذلك إفساد المنافقين في الأرض ، وهم يحسبون أنهم يفعلهم ذلك مصلحون فيها . وهذا الذي قاله حسن ، فإن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء ، كما قال تعالى : (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) [الأنفال : 73] فقطع

الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين كما قال : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين

أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا) [النساء : 144]

ثم قال : (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) [النساء : 145]

[فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين ، فكأن الفساد من جهة

المنافق حاصل ؛ لأنه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له ، ووالى الكافرين

على المؤمنين ، ولو أنه استمر على حالته الأولى لكان شره أخف ، ولو أخلص العمل الله

وتطابق قوله وعمله لأفح وأنجح ؛ ولهذا قال تعالى : (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض

قالوا إنما نحن مصلحون) أي : نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين ، ونصطلح

مع هؤلاء وهؤلاء ، كما قال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة

أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن

مصلحون) أي : إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب .